المبحث الثاني
تجسد الإله

1 - مفهوم التجسد

يقصد بالتجسد أن الله صار إنسانا، وقد عرفه الشماس سامح حلمي بقوله:

- "التجسد الإلهي يعني أن الله وهو ملك السموات قد تنازل وأخذ جسدا إنسانيا فاتحد بطبيعتنا، وظهر بيننا على الأرض.
- التجسد الإلهي يعني أن الله غير المنظور قد صار منظورا في جسد إنسان.
- والتجسد الإلهي يعني أن الله قد تواضع حبا فينا وأخلى ذاته وأخذ جسدنا.
- الله الكلمة صار إنسانا وحل بيننا، كلمة صار لا تعني الصيرورة والتحول، بل تعني أخذ جسدا"[1].

ومن التعريفات أيضا: "التجسد أخذ جسد بشري، إن ابن الله الأزلي جاء إلى العالم وأخذ جسدا بشريا، والكلمة صار جسدا وحل بيننا"[2].

وفي اعتقاد المسيحيين أن الله: "ظل يهيء الأذهان لفكرة التجسد الإلهي عبر القرون الطويلة لعمر البشرية"[3]، ومن أدلتهم على ذلك أذكر مثالين:

أ - المثال الأول: ظهوره لهاجر جارية سارة

بالنسبة لظهور الله لهاجر فقد جاءت قصة ذلك في سفر التكوين: (فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. 8وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَقَالَتْ: «أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ». 9فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا». 10وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيراً أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». 11وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْناً وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ)[4].

---

(1) "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، ص: 87.

(2) - "هذه عقائدنا"، ج. كلايد تارنر، إصدار الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل: 73.

(3)- "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، 91.

(4) - سفر التكوين16/7-11.

وحقيقة فالنص صراحة هو حجة عليهم لا لهم، وليس فيه ما يؤيد اعتقادهم بأنه دليل التجسد الإلهي، فما ورد في النص "وجدها ملاك الرب" وليس الرب وتكررت هذه العبارة أربع مرات، فيعني هذا أن الله أرسل ملاكا إلى هاجر عليها السلام.

- المثال الثاني: ظهوره ليعقوب عليه السلام

والنص في ذلك: (قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. 23أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. 24فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». 27فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». 29وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. 30دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». 31وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ"[1].

هذا النص تضع له كثير من ترجمات الكتاب المقدس العنوان الآتي: "يعقوب يصارع الله". فهل يعد النص إذا دليلا على التجسد الإلهي؟ للإجابة عن هذا السؤال من الضروري الرجوع إلى التفاسير، تقول الكنسية تفسير سفر التكوين عن هذه القصة تحت عنوان مصارعة الله:

"بعد أن سارت قافلة زوجاته وأولاده مسافة في طريقهم إلى مقابلة عيسو، وكان ذلك أثناء الليل، بقي يعقوب وحده ووقف يصلي طالبًا معونة الله في مقابلته لعيسو ليصرف غضبه ولا ينتقم منه. وفيما هو يصلي أراد الله أن يطمئنه، فظهر له بشكل ملاك أو أرسل إليه ملاكًا له صورة إنسان فشعر يعقوب أنه كائن سماوي فأسرع ليمسك به ويطلب معونته، فتظاهر الملاك كأنه يريد أن ينصرف عنه أما هو فتشبث به طالبًا بركته لأنه شعر أنه مرسل من الله"[2].

تبين الموسوعة الكنسية أن سبب تخلف يعقوب عن عائلته هو لأجل الصلاة وطلب معونة الله في مقابلته لأخيه عيسو، وأن الله ظهر له في شكل ملك، أو أرسل إليه ملاكا له صورة إنسان.

لكن النص صراحة لم يذكر أن يعقوب تخلف عن عائلته قصد الصلاة، وبدون مقدمات تقول أنه صارعه إنسان ولم يذكر أن الذي صارعه هو الله.

---

(1) - سفر التكوين32/22-31.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير سفر التكوين"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، كنيسة ما مرقص القبطية الأرثوذكسية مصر، ص: 242.

تضيف الموسوعة الكنسية أيضا: "وظل يعقوب يتضرع إليه متشبثًا به طوال الجزء الباقي من الليل حتى طلع الفجر، وتظاهر الملاك بالضعف أمام يعقوب كأنه غير قادر على التخلص من التشبث به وذلك ليشجعه وهو مستمر في طلب بركته ومعونته بل يقول له" لا أطلقك إن لم تباركني"لأني محتاج جدًا أمام قوة عيسو المقبل علي. وفي النهاية لم يباركه الملاك فقط بل ضربه أي لمسه على حق فخذه فانخلع الفخذ جزئيًا من البدن، فتألم يعقوب ولكنه ظل ممسكًا بالملاك طالبًا معونته .وهذا يظهر مدى تمسك يعقوب بالله وإحساسه بضعفه واحتياجه"[1].

وهذا التفسير تحريف للنص، لأن يعقوب لم يكن يتضرع إلى ذاك الإنسان أو الملاك وإنما كان يصارعه وشتان بين التضرع والمصارعة، بدليل النص: (وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي»). ثم كيف يعقل أنه إذا كان الله فعلا يريد مباركة يعقوب أن يكون ذلك مقابل آلم؟ فما دام سيباركه فيعني أن له - ليعقوب – منزلة عند الله ومن له منزلة عند الله فلا شك سيحميه لا أن يعذبه. وهذا ما يجعل القول بمصارعة يعقوب لله المتجسد ليس صحيحا.

وزيادة في الإيضاح في تفسير النص أذكر ما جاء في أحد التفاسير أيضا، يقول نجيب جرجس: "ويرى بعض المفسرين أن الإنسان الذي صارعه هو ملاك العهد أي الله الكلمة جاء بصورة إنسان ليفتح أذهان البشر لعقيدة التجسد، على أن الأرجح أنه كان ملاكا عاديا أرسله الله لتشجيع يعقوب في الوقت الذي كان خائفا فيه من أخيه عيسو"[2].

فالذي صارعه يعقوب هو ملاك وليس الله المتجسد، وقد قال ذلك صراحة القمص تادرس يعقوب: "إذ اجتاز يعقوب وأسرته نهر يبوق انفرد للخلوة، وكأنه كان يستعد للقاء عيسو خلال لقائه مع الله، وقد ظهر له إنسان، يرى غالبية الدارسين أنه ملاك على شكل إنسان، وليس كلمة الله"[3].

هكذا يتضح أن القول بتجسد الله في العهد القديم لا وجود له بشهادة النصوص وكذلك التفاسير. فالله إذن لا يمكن أن يتجسد.

---

(1)- "الموسوعة الكنسية لتفسير سفر التكوين"، ص: 242.

(2) - "تفسير سفر التكوين"، نجيب جرجس، ص: 331.

(3) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-31.html

ومن الملاحظات المهمة في النص أنه إذا كان فعلا ملاك الله هو الذي أُرسل إلى يعقوب فما كان له أن يصارعه، بل ستكون معاملته تليق بملاك مرسل من الله. كما أنه في المقابل يكون عالما باسم يعقوب لا جاهلا له.

ومن التناقضات بين النص والتفسيرات، أن في النص حديث عن تغيير الاسم من يعقوب إلى إسرائيل هو نتيجة المباركة، أما التفسيرات فتذكر أنه كان يصلي ويتضرع قصد التغلب على أخيه عيسو، وهذا غير موجود في النص.

ومن الملاحظات أيضا كيف يكون وجود ذلك الإنسان الملاك- الله حسب اعتقاد البعض كما أسلفت- مرتبطا بالليل وليس النهار؟ (وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ). والتفاسير السالفة الذكر لم تفسر هذا الأمر.

ثم إن قول يعقوب أني نظرت الله وجها لوجه (دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي)، فيه تناقض مع التفاسير والكتاب المقدس، لأن من يرى الله يموت كما جاء في سفر الخروج: (لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ)[1]. فقول يعقوب رأيت الله وجها لوجه لا يستقيم والكتاب المقدس.

بعد مناقشة القول بتجسد الله في العهد القديم أنتقل إلى الحديث عن التجسد وكيفية حصوله انطلاقا من العهد الجديد وأقوال المفسرين فيه.

2 - التجسد الإلهي وطبيعة المسيح

أ - كيفية التجسد الإلهي

يعتقد المسيحيون أن المسيح، "عندما أراد أن يتجسد من أجل خلاص البشرية، حل بلاهوته في بطن العذراء مريم، واتخذ منها جسدا بروح عاقلة واتحد به اتحادا كاملا، وبعد تسعة أشهر خرج من العذراء مريم إلها متأنسا أي أنه إله ظهر في إنسانية كاملة"[2]. وهناك وصف آخر عن كيفية التجسد يقول: "حل الروح القدس على العذراء مريم، وكون منها جسد المسيح، فكان طاهرا خاليا من الخطية، وكذلك من الفساد الوراثي لأنه أتى بدون زرع بشر. وفي اللحظة التي هيأ فيه الروح القدس مبدأ الناسوت في بطن العذراء في نفس اللحظة اتحد اللاهوت به، فلم تكن هناك لحظة من الزمان كان فيها ناسوت المسيح خاليا من لاهوته، ولذلك تسمي الكنيسة

(1) - سفر الخروج20/33.

(2) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح"، الأنبا غريغوريوس، مكتبة الأنبا غريوغوريوس، مصر، ط أكتوبر 2004.

القديسة مريم معمل الاتحاد غير المفترق إذ فيها تم اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادا أبديا"[1].

وهذه الكيفية ينقصها الدليل من الكتاب المقدس، فليس هناك نص يقول إن الله حل بلاهوته في بطن مريم العذراء أو أنها ولدت إلها متأنسا.

وبالرجوع إلى الإنجيل يتضح الأمر أكثر ففي إنجيل لوقا النص واضح على أن مريم ولدت يسوع وليس إلها متجسدا، لاهوته متحد بناسوته وهذا هو النص:

جاء في لوقا: (فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». 29فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! 30فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. 31وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ)[2]. النص يقول ستلدين ابنا ولا حديث فيه عن ناسوت ولاهوت. ورغم قول المسيحيين باتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادا أبديا؛ إلا أنهم يختلفون حول الطبيعة المسيح وهذا ما سأبينه في النقطة التالية.

ب - طبيعة المسيح

هذا الموضوع انقسم فيه المسيحيون بين قائل بالطبيعة الواحدة وبين قائل بالطبيعتين، وأذكر منهم:

- الأرثوذكس[3]:

هم القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح، يقول البابا شنودة: "الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس. الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئًا من الخطية الأصلية، وكون من دمائها جسدًا اتحد به ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء. وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد"[4].

---

(1) "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، ص: 96.

(2) لوقا1/28-31.

(3) كلمة الأرثوذكسي orthodoxy، كلمة يونانية الأصل، مركبة من لفظتين يونانيتين: "أرثوس" وهي صفة لما هو قويم وسليم، و"ذكسا": وهي اسم يدل على الرأي والمعتقد، والفكر، فيكون معنى الكلمة اليونانية "أرثوذكسا": المعتقد القويم، أو الرأي القويم"، للتوسع أكثر ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق، ط2، 2005، ص: 47.

(4) "طبيعة المسيح"، البابا شنودة، ط5، 1995، القاهرة، ص: 7.

فالمسيح هو إله من طبيعة واحدة طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية اتحدتا. ورغم قولهم هذا فهم يعترفون بأن كيفية هذا الاتحاد يبقى سرا، يقول الأسقف غريغوريوس: "ولكن كيف صار هذا الاتحاد؟ أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت والناسوت معا بدون اختلاط ولا امتزاج وبدون تغيير؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟ هذا ما لا نعرف إنه من الأسرار الإلهية. لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه في عقولنا. فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشري وكل تصور"[1].

وهذا القول صراحة يُرد به على البابا شنودة الذي تحدث عن الاتحاد بين الطبيعتين وكأن الأمر سهل الفهم، لكن الأنبا غريغوريوس بين أن ذلك – الاتحاد- لا يمكن فهمه ولا إدراكه، وهنا أقول ما دام الأمر كذلك، فلماذا القول باتحاد الطبيعة اللاهوتية بالطبيعة الناسوتية؟ ولماذا التبشير بالمسيحية وهي غير مفهومة وفوق العقل؟

- الكاثوليك[2]: هم الذين يقولون بالطبيعتين، طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية للمسيح. فالمسيح كما يقول سعد رستم: "بطبيعتين متحدتين في شخص واحد: إنه إله تام، حقيقي، وإنسان تام، جسده لم يهبط من عل، وليس مركبا من عناصر سماوية، بل هو جسد مأخوذ من مريم بولادة فعلية حقيقية"[3]. ويشترك البروتستانت مع الكاثوليك في القول بطبيعتين للمسيح وليس طبيعة واحدة كما هو الشأن بالنسبة للأرثوذكس.

والقول بالطبيعتين بعد الاتحاد يعني: "أن الإنسان يسوع قد تشكل بنفسه في الرحم أولا وبعد ذلك سكنه الكلمة"[4].

هكذا يتضح أن المسيحيين أنفسهم، لم يتفقوا على طبيعة المسيح، فالذين نادوا بالطبيعة الواحدة لم يقدموا أي دليل والشأن نفسه للقائلين بالطبيعتين، وهذا الخلاف راجع إلى انعدام النص كمصدر قوي للحجة، لكن غيابه فتح لهم الباب لقول ما يشاؤون من غير استناد إلى دليل، فالمسيح عليه السلام لم يقل أنا إله متأنس لي طبيعة واحدة أو لي طبيعتان.

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت حول طبيعة المسيح، يترتب عليه القول:

---

(1) "لاهوت مقارن، الأنبا غريغورويس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس مصر، ص: 231.

(2) أصل كلمة "كاثوليكي" هو اللفظة اليونانية "Katholikos" "كاثوليكوس"، وتعني العالمي، ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص: 68.

(3) "الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص: 72.

(4) "الإصطلاحان طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى"، القمص تادرس يعقوب ملطي، ص: 23.

- بالنسبة للأرثوذكس أصحاب الطبيعة الواحدة:

يعني أن مريم ولدت الإله الإنسان. يقول البابا شنودة: "من المستحيل أن تكون العذراء ولدت إلهاً فقط. لأنها ولدت طفلا رآه الكل. ولا يمكن أن تكون ولدت إنساناً فقط ...والعذراء أيضاً لم تلد إنساناً وإلهاً وإلا كان لها ابنان: الواحد منهما إله والآخر منهما إنسان. لم يبق إلا أنها ولدت الإله المتجسد"[1].

وقول البابا هذا مردود لأن مريم عليها السلام ولدت ابنا وسمته يسوعا والنص واضح لا غبار عليه جاء في لوقا: (فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». 29فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! 30فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. 31وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ)[2].

- بالنسبة للكاثوليك والبروتستانت القائلين بطبيعتين للمسيح: "تكون مريم والدة الإنسان يسوع فقط، ولا يصح تلقيبها بوالدة الإله، لأنها ليست أصلا للاهوت"[3].

من هنا يلحظ الباحث وجود خلاف حقيقي فيما يخص طبيعة المسيح بين المسيحيين، والأكثر من هذا هناك اتهام لبعضهم بالكفر فيقولون: "يجب أن نعتبر أن الكلمة المولود من الله الآب والهيكل المأخوذ من القديسة العذراء هما واحد. لا كأنهما من جوهر واحد ولكن لأن فكرة التقسيم بعد الاتحاد الذي لا يعبر عنه فكرة كفرية"[4].

بمعنى من يقسم المسيح بعد الاتحاد إلى طبيعتين: لاهوتية ناسوتية فهو كافر، وبناء على هذا يكون الكاثوليك والبروتستانت كفرة في نظر الأرثوذكس. وهنا أقول لو كانت هناك نصوص من الكتاب المقدس تلغي الخلاف لما صدر مثل هذا الحكم. وهم أنفسهم يقولون أننا بحاجة إلى مجمع مسكوني لحل هذا الخلاف، يقول وهيب عطا الله: "ولا شك في أننا في حاجة ماسة إلى مجمع مسكوني عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد- طبيعة المسيح- ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية يجب أن نرحب بالمؤتمرات، فإنها السبيل الوحيد للتقريب بين اللاهوتيين في الوقت الحاضر لتقريب وجهات النظر"[5].

---

(1) "طبيعة المسيح"، شنودة، ص: 16.

(2) لوقا1/28-30.

(3) "تعليم الكنيسة الإسكندرية فيما يخص طبيعة المسيح"، وهيب عطا الله جرجس، ص: 26-27.

(4) "سرى التجسد والفداء، غريغوريوس، ج2، ص: 39.

(5) "تعليم الكنيسة الإسكندرية فيما يخص طبيعة المسيح"، وهيب عطا الله، ص: 28.

وهذا كلام في غاية الأهمية فهم إلى حد الآن يعترفون بأن هناك خلافا، ولحله هم في حاجة إلى مجمع مسكوني، لكن في غياب تحقيق هذا، يبقى السبيل هو عقد المؤتمرات للتقريب بين اللاهوتيين لتقريب وجهات النظر، وكأن الأمر خلاف سياسي، ثم إن العقيدة ينبغي أن تبنى على نصوص واضحة مصدرها الوحي المسيحي، حتى تكون عقيدة مؤصلة، لا على وجهات النظر.

ج - أسباب التجسد

من أسباب التجسد كما يعتقد المسيحيون هناك سببين وهما:

أولها: التجسد من أجل الخلاص: يقول الأسقف غريغوريوس: "نحن نعترف بأن المسيح، له كل المجد، عندما تجسد كان الهدف خلاص الإنسان. فالتجسد وسيلة لغاية والغاية هي خلاص الإنسان، لأن الإنسان لما سقط في الخطيئة أصبح مطرودا من الفردوس ومحكوما عليه بالموت"[1]. وهذا السبب غير صحيح، لأن الكتاب المقدس يؤكد أن من يرتكب خطأ يعاقب عليه هو فقط وليس غيره، جاء في سفر حزقيال: (النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ)[2]. وبهذا النص يتضح أن التجسد من أجل الخلاص لا يستقيم ونص الكتاب المقدس[3].

ثانيهما: التجسد ضروري لمعرفة الله: يقول جوش مكدويل: "ما كان لنا أن نعرف الله لو لم ينزل إلينا...وقد نزل إلينا مدفوعا بمحبته. أراد أن يفتح طريقا لكي يعطي مجالا لجميع الناس أن يعرفوه"[4]. ويستشهد مكدويل بنص العبرانيين: (الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ)[5]. ثم يعلق ناقلا عن جوزيف هـ.ثاير قائلا: "هذا التعبير كان يستخدم للدلالة على الأثر الذي يتركه ختم على شمع أو معدن. إنه الدمغة المطابقة تماما لطبيعة الختم الأصلي من كل ناحية"[6].

وقبل التعليق على هذا القول أورد تفسيرا لنص العبرانيين كما فسرته الموسوعة الكنسية التي تقول: رسم جوهره: "إثبات آخر للاهوت المسيح، فجوهر الله

---

(1) "لاهوت عقيدي سرى التجسد والفداء، غريغوريوس، ص: 13.

(2) سفر حزقيال18/20.

(3) سيأتي الحديث عن موضوع الخطيئة ودحضها في الفصل الثالث في ضوء مناقشة اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح

(4) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، مكدويل، ص:17.

(5) الرسالة إلى العبرانيين1/3.

(6) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، مكدويل، ص: 65.

قد ظهر رسمه وشكله في المسيح المتجسد، فهو ذات جوهر الله ظهر بشكل منظور للبشر في ملء الزمان، فالرسم ليس شيئا آخر أو منفصلا أو أقل"[1].

تفسير نص العبرانيين على هذا النحو يشكل خطرا على العقيدة المسيحية ويضربها في الصميم لتعارضه مع النص الواضح، جاء في سفر الخروج: (لأَنَّ الْإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ، يعني أنه من يرى الله يموت، لكن الله لم يره أحد كما في يوحنا: (اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ)[2].

وظهور جوهر الله على شكل بشر يرفضه الأسقف غريغوريوس في معرض حديثه عن قول يوحنا والكلمة صار جسدا، يقول: "إن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهري لا حقيقي، لأن الكلمة هو الله ظاهرا في الجسد. ولا شك أن في هذا تحول ولكن تحول في المظهر لا في الجوهر، وعلى ذلك فقوله "صار جسدا" معناه اتخذ جسدا"[3]. وبهذا بطل قولهم: إنه تجسد لكي يعرفه الناس؛ لأنه لو تجسد الله فعلا لماتت البشرية بناء على النص في سفر الخروج.

د - أدلة التجسد

من النصوص التي يحتج بها المسيحيون على تجسد الله[4] نذكر الآتي:

- يوحنا: (وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا)[5].
- رسالة يوحنا الأولى: (وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ)[6]
- ثيموثاوس: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ)[7].

هذه هي النصوص التي تعد الركيزة لإثبات التجسد. وهي نصوص تحتاج إلى شرح لكشف المعنى الحقيقي.

---

(1) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد"، من العبرانيين حتى رؤيا يوحنا، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط1، 2005، ج5، ص: 6.

(2) يوحنا1/18.

(3) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح، غريغوريوس، ص: 800.

(4) هناك أعداد أخرى إلا ما يلاحظ هو أن الكتاب المسيحيين يختارون أعدادا دون أخرى سيأتي بيان أثناء المناقشة والرد.

(5) إنجيل يوحنا1/14.

(6) رسالة يوحنا الأولى5/7.

(7) رسالة بولس إلى أهل ثيموثاوس الأولى3/16.

فنص يوحنا يعتبر أن الكلمة الأقنوم الثاني هو الذي صار جسدا. وقبل مناقشة النص لا بد من الحديث عن الكلمة.

تاريخ الكلمة:

هذا المفهوم يرجع استعماله إلى اليونانيين، يقول سبرول: "الاستعمال الفلسفي أضفى ثراء على معنى اللوغوس – أي الكلمة-، فقد اهتم اليونانيون القدامى بفهم معنى للكون، وهكذا انهمكوا في بحث عن الحقيقة المطلقة (ما وراء الطبيعة) فقد بحث فلاسفتهم عن العامل الموحد أو القوة التي أوجدت النظام والتناغم بين التنوع الواسع للعالم المخلوق (علم الكونيات) بحثوا عن (a nous) أي عقل يمكنهم أن يعزوا له نظام كل الأشياء وعلى هذه الحقيقة أطلق اليونانيون اسم اللوغوس)[1].

فلفظ اللوغس استخدمه اليونانيون على أنه مصدر الوجود. وفي محاولة للتهرب من ربط اللوغس اليوناني بإنجيل يوحنا يقول متى المسكين: "القديس يوحنا لم يستلف اللوغس من اليونان...بل لوغس القديس يوحنا هو المسيح وقد أدركه القديس يوحنا من أقواله وتعليمه ثم استلمه بالرؤيا وتكلم عنه كما يتكلم الإنسان عن شخص يراه"[2]. وقوله هذا لا يوافق عليه أهل ديانته فهناك من يرى أن يوحنا استغل بحث اليونان عن الخالق والمنظم للكون ونادى بـ : أن الكلمة المسيح القوة الخالقة.

وهذا ما قاله وليام باركلي: "أتى يوحنا إلى اليهود واليونانيين على السواء ليخبرهم بأن يسوع المسيح هو كلمة الله القوة الخالقة، الحافظة، المسيطرة، المنيرة لكل عقل، قد أتى في ملء الزمان، ولبس جسم بشريتنا، وما عليهم بعد أن يرهقوا عقولهم في البحث، والتنقيب إلا أن يتطلعوا بالإيمان إلى يسوع المسيح. ليلمسوا فكر الله المتجسد الحي في شخصه المبارك"[3].

معنى الكلمة

يفسر المسيحيون الكلمة بأن الله ظهر في الجسد ...أي "المسيح ابن الله الكلمة أخذا ناسوتا كاملا من العذراء مريم"[4]. لكن البابا شنودة يقول غير هذا، فالكلمة عنده: "عقل الله الناطق أو نطق الله العاقل فهي تعني العقل والنطق معا"[5].

---

(1) "حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي"، سبرول، ص: 140.

(2) "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا دراسة وتحليل"، الأب متى المسكين، ص: 195.

(3) "شرح بشارة يوحنا"، وليم باركلي، ص: 49، ينظر إنجيل يوحنا في الميزان، علي زهران، تقديم: سعد الدين السيد صالح، الناشر دار الأرقم القاهرة، 1992، ص: 240.

(4) "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل"، الأنبا يؤانس، ط2، ماي 1987، ص: 264.

(5) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 8.

عدم الاتفاق يدل على عدم إدراك المقصود. وهذا ما يجعل العقيدة في خطر نظرا لانعدام تفسير للنص بشكل واضح، لأنه من غير الممكن القول: إن الله قد تسجد، ثم القول مرة أخرى عقل الله هو المتجسد، فكيف لعقل الله أن ينفصل عنه؟ وكيف يتم التوفيق بين قولهم مريم والدة الإله ووالدة عقل الله؟ أضف إلى ذلك غياب النص من الكتاب المقدس الذي يؤيد قولهم.

بعد هذه اللمحة عن الكلمة والتي بينت فيها أن كاتب إنجيل يوحنا استقاها من الفكر اليوناني بغية جعل المسيح هو الإله المتجسد لا غير. ثم كشفت كذلك عن الاختلاف في كلمة اللوغس حسب المراجع المسيحية، مما يجعل القول بتجسد الإله مسألة لا تستند إلى دليل يقويها سوى أقاويل واجتهادات تناقض بعضها البعض. أنتقل إلى الحديث عن المواضع التي دعي فيها المسيح بالكلمة.

المواضع التي دعي فيها المسيح بالكلمة:

في إطار الحديث عن التجسد نجد كل كاتب أو مفسر يتناول أعدادا ويهمل أخرى وغيره يعتمد عليها كحجة على التجسد. ومن هؤلاء أذكر:

- "قاموس الكتاب المقدس" تحت عنوان "كلمة" يقول: "يقصد بالكلمة السيد يسوع المسيح، ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى إلا في: يوحنا [1](1/1-14) ورسالة يوحنا الأولى[2]1/1، ورؤيا يوحنا[3]13/19"[4].
- البابا شنودة يتفق مع قاموس الكتاب المقدس في نص يوحنا ونص رؤيا يوحنا ويورد نصا آخر هو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى(7/5: 8وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السماء هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ). واعتبر البابا (هذه هي المواضع الثلاثة التي ورد فيها تسمية المسيح بالكلمة مخالفا قاموس الكتاب المقدس"[5].
- وليم أدي: يتفق مع قاموس الكتاب المقدس في النص الأول (1يوحنا/1-14) والنص الثالث(رؤيا يوحنا13/19) لكن أضاف النص الوارد في الرسالة إلى العبرانيين فقد جاء فيه: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ)[6]. وقال: "لم ترد تسميته بالكلمة في غير هذا الموضع- يقصد به يوحنا1/1-14- إلا في العبرانيين ورؤيا يوحنا"[7].

هذه ثلاثة نماذج لم تتفق كليا – وإن كان هناك اتفاق جزئي- على المواضع التي سمي فيها المسيح بالكلمة، فكل كاتب تفرد بنص عن غيره، مؤكدا في نفس الوقت أن المواضع التي ذكرها هي الأصل ولم توجد في غير ما حدد. وهذا يدل على عدم اقتناع الكاتب بما ذكره غيره، هذا مع العلم أن هذه النصوص فيها نظر وبيان ذلك كالآتي.

---

(1) إنجيل يوحنا1/1-14، (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا).

(2) رسالة يوحنا الأولى1/1، (اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ).

(3) رؤيا يوحنا13/19، (وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ).

(4) "قاموس الكتاب المقدس"، جورج، ج2، ص: 265.

(5) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 8

(6) رسالة بولس إلى العبرانيين12/4.

(7) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الجزء الثالث شرح إنجيل يوحنا"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الرشق الأدنى بيروت1973، ص: 9.

- نص إنجيل يوحنا

يعد نص يوحنا من النصوص المهمة في إثبات تجسد الإله – حسب اعتقاد المسيحيين- فإذا تصفح الباحث أي كتاب يتحدث عن التجسد فسيجد هذا العدد، لذا سأتوقف مع هذا النص مليا حتى تتضح الصورة جيدا.

النص في يوحنا يقول: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا". فهل فعلا النص يصلح دليلا على التجسد؟

يقصد بالبدء وفق معتقد المسيحيين أزلية المسيح وأنه ليس له بداية، وهو الخالق، لأن الكلمة في اعتقادهم هو الله. يقول الأنبا غريغوريوس تحت عنوان "الكلمة هو الله": "ينفرد الإنجيل عند القديس يوحنا بأنه لا يكلم الناس عن ميلاد السيد المسيح من عذراء....الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد بأن ينبه إلى أن السيد المسيح قبل أن يظهر كإنسان، في صورة ابن الإنسان يسوع، كان له وجود قبل الزمان، وجود أزلي مع الآب في السماء قبل أن ينزل إلى الأرض متجسدا...إن المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل، إله مريم، وخالق مريم وكل الخليقة"[1].

بناء على "كلمة البدء" ربط الأسقف الكلمة المتجسد بالأزل، ولفظة "البدء هي نفسها الواردة في سفر التكوين"[2]. نقول إذا، إن ربط البدء الموجود في يوحنا بسفر التكوين ليس في صالح المعتقد المسيحي.

جاء في سفر التكوين: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)[3]. أي في البداية خلق السموات والأرض، والنص العبري أكثر دلالة على هذا وهو كالتالي.

- (בְּרֵאשִׁית، בָּרָא אֱלֹהִים، אֵת הַשָּׁמַיִם، וְאֵת הָאָרֶץ)[4].

ومعنى "בְּרֵאשִׁית" حسب معجم قوجمان: "البدء، البداية"[5].

- ترجمة اليديش للعهد الجديد نفس اللفظ هكذا בְּרֵאשִׁית. (בְּרֵאשִׁית הָיָה הַדָּבָר וְהַדָּבָר הָיָה אֶת־הָ אֱלֹהִים)[6] .

---

(1) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، الأنبا غريغوريوس، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، ط2005، القاهرة، ص: 42.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الجزء الثالث شرح إنجيل يوحنا"، وليم أدي، ص: 9.

(3) سفر التكوين1/1.

(4) http://www.sefarim.fr/

(5) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، نشر دار الجيل بيروت، 1975، ص: 82.

(6) "העתקה חדשה מלשון יון ללשון עברית، מאת، יצחק זאלקינסאן"، ص: 69.

إذا، فكلمة البدء تعني البداية، وليس الأزل. ولا مجال لربط الكلمة في يوحنا بالأزل، وبالتالي يكون تفسير الأسقف غريغوريوس غير صائب وخاطئ.

هذا فيما يخص الجزء الأول من يوحنا، وفيما يتعلق بالجزء الثاني القائل: (وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ)، فإذا رُبط بالجزء الأول يكون المعنى هكذا، في البدء كان الله والله كان عند الله. وهذا لا يستقيم.

ومن الضروري الرجوع إلى التفسير، يقول الأسقف غريغوريوس: "وأما قول يوحنا إن الكلمة كان لدى الله- عند- فمعناه أن الكلمة أزلي لأنه منذ البدء. وليس ثمة إلهان أزليان، فليس الكلمة مستقلا بوجوده وكيانه عن الله، وليس منفصلا عنه قائما بذاته، إنما الكلمة لدى الله، أي كائن فيه ومعه...فالكلمة هو العقل الإلهي متجسدا"[1]. فالأسقف بعدما قال سابقا إن الكلمة هو الإله الخالق، يعود الأن ليقول أن الكلمة هي العقل الإلهي. ثم كيف يتم قبول القول، بناء على هذا التفسير أن عقل الله هو الإله المتجسد؟

وهنا أجد القس إبراهيم سعيد يخالف الأسقف غريغوريوس إذ يقول: "وكان الكلمة عند الله، هذا برهان قاطع على أن المسيح ذو شخصية مستقلة في كيانه، وأن له أقنوما متحدا بالله من غير امتزاج، مستقلا عنه من غير انفصال"[2].

فأي التفسيرين يمكن الأخذ به؟ فالأسقف غريغوريوس يقول فليس الكلمة مستقلا بوجوده وكيانه عن الله، وليس منفصلا عنه قائما بذاته. والقس إبراهيم سعيد قال: هذا برهان قاطع على أن المسيح ذو شخصية مستقلة في كيانه.

إن هذا يبين أن قولهم بتجسد الله لا دليل عليه، بحكم تناقض التفاسير وعدم وجود نص قوي واضح. وبناء عليه، لا معنى لقولهم الكلمة كان عند الله، هو الله في الأزل.

والآن إلى الجزء الثالث من إنجيل يوحنا وهو: (وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ). هذا العدد فيه خلاف بين المسيحيين أنفسهم وبيانه كالتالي:

تفسير العدد: "يقول القديس يوحنا وكان الكلمة هو الله، وذلك لأن الكلمة هو الله متجسدا، فالله بطبيعته غير منظور، وإذ صار منظورا في المسيح لم يتغير في طبيعته، لأنه ليس جسدا وإنما استتر في جسد أي احتجب في جسد، واتخذ جسدا، ومع ذلك فإنه لم يزل هو الله بذاته...إن المسيح كان ولم يزل إلها، وذلك لأن تجسده لم يغير طبيعته الإلهية"[3]. يظهر بأن النص لا غبار عليه سوى أنه دليل على المسيح الإله المتجسد، فهل الأمر كذلك؟

---

(1) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، غريغوريوس ، ص:44.

(2) "شرح بشارة يوحنا"، القس ابراهيم سعيد، ط4، دار الثقافة مصر، ص: 29.

(3) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، غريغوريوس، ص: 45.

نقرأ في الموسوعة الكنسية هناك اتهام لشهود يهوه بأنهم يحرفون النص لصالحهم، تقول الموسوعة: "اهتم إنجيل يوحنا بإبراز الميلاد الأزلي للسيد المسيح، لأن شاغله الأول كان إثبات لاهوت المسيح ولا توجد آية أقوى من: وكان الكلمة الله، لذا نجد جماعة مثل شهود يهوه، الناكرين للمسيحية ولاهوت المسيح، يغيرون في كتاباتهم منطوق هذه الآية إلى: وكان الكلمة كإله"[1]. وهذا اتهام غير مبني على دليل وينم عن قلة الإلمام بموضوع التجسد وعدم فهمه.

فشهود يهوه لم يغيروا النص، وإنما النص كان يجب أن يكون هكذا: و"كان الكلمة إلها". والدليل على لسان متى المسكين إذ يقول في تفسيره: "وكان الكلمة الله: هنا كلمة الله جاءت في الأصل اليوناني غير معرفة بـ "أل" بعكس الجملة السابقة وكان الكلمة عند الله حيث كلمة الله معرفة بـ "أل". ففي الجملة الأولى الكلمة كان عند الله نجد أن الكلمة معرفة بـ "ال" والله معرف بـ "أل" توضيحا أن لكل منهما وجوده الشخصي، وحيث الله المعرف بـ أل يحمل معنى الذات الكلية. أما في الجملة الثانية فالقصد من قوله وكان الكلمة الله هو تعيين الجوهر، أي طبيعة الكلمة أنها إلهية. ولا يقصد تعريف الكلمة أنه هو الله من جهة الذات"[2].

فنص متى المسكين يدحض قول الموسوعة التي اتهمت شهود يهوه بالتحريف، ويدحض في نفس الوقت تفسير الأسقف غريغوريوس الذي اعتبر الكلمة هو المسيح الإله المتجسد، لأن متى المسكين اعتبر أن طبيعة الكلمة إلهية وليس هو الله.

ويضيف متى المسكين وهو كلام في غاية الأهمية قائلا: "وهنا يحذّر أن تقرأ الله معرفا بـ أل في وكان الكلمة الله، وإلا يكون لا فرق بين الكلمة والله وبالتالي فلا فرق بين الآب والابن....وهنا يقابلنا قصور مكشوف في اللغة العربية فلا توجد كلمة الله بدون التعريف أل"[3].

هذا التفسير كشف الحقيقة بأن "الكلمة" هو غير الله لذلك النص يكون "وكان الكلمة إلها"، وبهذا لا يصلح نص يوحنا دليلا على تجسد المسيح الإله الكلمة كما يعتقدون. فبقيت إذا كلمة "إلها" نكرة غير معرفة.

---

(1) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثاني، بشارتي لوقا ويوحنا"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط1، نوفمبر 2004، ص: 285.

(2) "الإنجيل بحسب القديس يوحنا دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، مطبعة دير الانبا مقار مصر، ط1، 1990، ص: 35.

(3) "الإنجيل بحسب القديس يوحنا دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، ص: 35.

أما فيما يخص فهم متى المسكين أن اللغة العربية لا يوجد بها كلمة الله بدون ألـ. فأقول الأمر لا يتعلق بقصور وإنما يتعلق بالمترجمين الذين يريدون خدمة العقيدة حسب هواهم.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد ترجمة عربية، تجاهلها الأب متى المسكين، وهي ترجمة عربية للنص القبطي صدرت سنة 1935 وفيها ترجم نص يوحنا هكذا: "وإلها كان الكلمة".

فيقال إذا للمسيحيين إن مصادركم تشهد بأن الكلمة ليست هي المسيح الإله فبطل الاستشهاد بيوحنا وبطل معه القول بتجسد المسيح الإله.

وأختم نص يوحنا بمناقشة قوله: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا".

بخصوص هذا العدد فقد طرح سؤال على الأسقف غريغوريوس حول مدلول الصيرورة، وكانت اجابته كالآتي: "إن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهري لا حقيقي، لأن الكلمة هو الله ظاهرا في الجسد. ولا شك أن هذا تحول ولكن تحول في المظهر لا في الجوهر، وعلى ذلك فقوله "صار جسدا" معناه اتخذ جسدا"[1]. لكن هناك من يخالف الأسقف في تفسيره من أهل ديانته ولا يرى ذلك تحول في المظهر، تقول الموسوعة الكنسية: "صار لا تعني تحول اللاهوت إلى جسد مادي، أو محدوديته بجسد مادي، بل تعني: اتحد به"[2].

ما يلاحظ على هذه التفاسير، هو أن الأسقف غريغوريوس يتناقض مع نفسه ويطعن في قضية التجسد، دون أن يلقي إلى ذلك بالا، لأنه قال: إن معنى الصيرورة تحمل على معنى ظاهري وعليه فالتجسد ليس حقيقيا، لكن عاد مستدركا بالقول إن التحول كان في المظهر. أما الموسوعة الكنسية وقولها بالاتحاد لا يستقيم وسياق النص القائل بالصيرورة أي التحول لا الاتحاد.

ومن بين الأمثلة التي أعطيت لتوضيح تجسد المسيح الإله وهو مثال خطير يقول جوش مكدويل: "لماذا يصير الله إنسانا؟ وللإجابة نقدم مثلا عن فلاح يحرث حقله، وتلاحظ عش نمل في طريق المحراث، ولنفترض أنك تحب النمل، فتفكر أن تجري إليهم لتحذيرهم، وتصرخ محذرا، لكنهم يستمرون في عملهم، فتستعمل لغة الإشارة، وكل وسيلة أخرى تعرفها، ولكن النمل لا ينتبه. لماذا؟ لأنك عاجز عن الاتصال بهم. فماهي أفضل طريقة لذلك؟ هي أن تصير نملة فيفهمون ما تقول"[3].

---

(1) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح، غريغوريوس، ص: 800.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثاني، بشارتي لوقا ويوحنا"، ص: 287.

(3) "برهان جديد يتطلب قرارا"، مكدويل، ص:134.

يضيف مكدويل: "ولما أراد الله أن يتصل بنا، وجد أن أفضل طريقة هي أن يصير إنسانا مثلنا، فيكون على اتصال مباشر بنا"[1].

قلت إن هذا المثال جد خطير لأنه يجعل من "الصيرورة" التحول الحقيقي وهذا لا يسلم له به أهل ديانته. والأكثر من هذا كله أنه يوجد نص يدحض أي تفسير يقول بالتحول كيفما كان، جاء في سفر ملاخي: (لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّر)[2].

بعد إبطال اعتقاد المسيحين بتجسد المسيح، أعود إلى النص، لكشف التلاعب به.

ففي ترجمة الملك جيمس King James جاء النص بخلاف الترجمة العربية هكذا:

-(And the Word was made flesh).

وترجمته: والكلمة صنع- خلق جسدا.

وهذا أيضا ما ذكره الإمام الغزالي بأن الأصل القبطي هو صنع فيقول: "وقول يوحنا في آخر الفصل: "والكلمة صار جسدا"...لا بد من حكاية وضع هذا اللفظ كيف كان في القبطي، ليعلم بذلك زللهم وعدولهم عن مقتضى وضعه، وصرفُهم وضعَه عن مفهومه الموافق إلى مفهوم مصادم لبديهة العقل. وضع هذا اللفظ: "وه بيصاجي أفأر أو صركيس". مفهوم هذه الكلمات في القبطي: والكلمة صنع جسدا، لأن "أفأر" مفهومها في القبطي: صنع"[3]. وعليه فالحديث عن الصيرورة وتحول الكلمة – المسيح- وتجسده يبقى بدون معنى. لأن كلمة "صنع" غيرت مجرى النص، والسؤال هنا: ماذا يستفاد ويستنتج ويفهم من قول النص: "والكلمة صنع جسدا"؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى العهد القديم حيث جاء في سفر المزامير: (بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ... 9لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَار)[4].

"فالكلمة" هي الأمر الإلهي "كن فيكون" الذي به يخلق الله ما يشاء من الكائنات"[5]، وبالتالي فيكون معنى "والكلمة صنع جسدا" أي أنه بالأمر الإلهي تم خلق إنسانا بشرا، ومن ثمة فالمسيح ليس الكلمة وإنما هو مخلوق بها "كن فيكون".

---

(1) نفسه.

(2) سفر ملاخي6/3.

(3) "الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الإنجيل"، الإمام الغزالي، ضبط نصه وعلق عليه أبو عبد الله السلفي الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ص: 87 .

(4) سفر المزامير33/6،9.

(5) "التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا"، سعد رستم، دار صفحات للدراسات والنشر، ط2007، ص: 235-236.

وبناء على كل هذه الأدلة الواضحة تتضح حقيقة نص إنجيل يوحنا، ومن ثمة، فالاستدلال به على تجسد المسيح الإله الكلمة، يعد مضيعة للوقت وتحريفا للنص عن مقصوده كما هو بيِّن أعلاه.

لننتقل إلى مناقشة بقية النصوص التي ذكرتها آنفا:

- نص رسالة يوحنا الأولى الذي تفرد به قاموس الكتاب المقدس أثناء حصره مواضع تسمية المسيح بالكلمة، والنص هو: (اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ).

"فكلمة الحياة" حسب قاموس الكتاب المقدس تدل على المسيح الكلمة المتجسد، وهذا في الحقيقة غير صحيح، وهذه النقطة تناولها الباحث علي زهران، وبرهن على ذلك باعتماده على النصوص، يقول[1]: "وكلمة الحياة" المقصودة هنا ليست هي الكلمة المتجسد الذي يقصده مؤلف الإنجيل الرابع. فصاحب رسالة يوحنا الأولى التي معنا يقول: أيضا: الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، والمقصود بذلك هو التعاليم الجديدة والوصايا القديمة في قوله: (أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لَسْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً، بَلْ وَصِيَّةً قَدِيمَةً كَانَتْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ. الْوَصِيَّةُ الْقَدِيمَةُ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ الْبَدْءِ. 8أَيْضاً وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ)[2]. فهذا النص خاص بالوصايا ولا علاقة له بالكلمة المتجسد[3].

- نص رؤيا يوحنا والذي استشهد به قاموس الكتاب المقدس ووافقه في ذلك البابا شنودة ووليم أدي (وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ). قبل مناقشة النص يجب معرفة كاتب هذا السفر.

إن كاتب سفر الرؤيا غير معروف، والدليل هو مقدمة الترجمة اليسوعية لهذا السفر إذ تقول: "لا يأتينا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه، ولم يذكر قط أنه أحد الاثني عشر، هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا، بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك"[4]. فالسفر الذي يحتج به لصالح العقيدة هو سفر مشكوك في كاتبه بل غير معروف.

---

(1) "إنجيل يوحنا في الميزان"، علي زهران، ص: 243.

(2) رسالة يوحنا الأولى2/7-8.

(3) للمزيد من المعلومات ينظر تفسير: "تفسير العهد الجديد رسائل يوحنا ويهوذا"، وليم باركلي، ترجمة جسار المنفلوطي، نشر دار الثقافة المسيحية القاهرة، ص: 76.

(4) الكتاب المقدس، الرهبنة اليسوعية، مقدمة سفر الرؤيا، ص: 796.

وتحت عنوان "بنية سفر الرؤيا" تضيف الترجمة اليسوعية: "فالتفسير الزمني تؤيده العادات الجارية في الأدب الرؤيوي، ولكنه يستدعي لحل بعض المشكلات، قبول تبديل مكان عدة رؤى، أو القبول بأنها أضيفت"[1].

إذا، فالسفر نفسه يعاني من مشكلة، فبالإضافة إلى الجهل بالكاتب، هناك مشكلة الرؤى؛ لأن المصادر تقول: لتفسير السفر هناك خياران، إما تبديل أماكن الرؤى، وإما التسليم بأنها مضافة. وأمام هذه المعطيات فإن السفر أصبح لا شيء، فيسقط الاحتجاج به لإثبات أن المسيح الكلمة المتجسد.

ورغم هذه الإشكالات أعود إلى النص كما يستشهدون به، لكن دون حذف وإنما أثبت النص كاملا حتى يفهم النص في سياقه على ما في ذلك من غموض: (ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ.12وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلا هُوَ. 13 وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ». 14 وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لابِسِينَ بَزّاً أَبْيَضَ وَنَقِيّاً. 15 وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. 16وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ»)[2]. فالنص المسطر عليه يبدو أنه في غير المسيح، فالراكب على الفرس ليس هو المسيح لأن المسيح لم يحارب أحدا بل لم يستطع حتى مقاومة اليهود الذين قتلوه.

ثم إن قولهم "وله اسم مكتوب لا يعرفه إلا هو"، فإذا كان الأمر هكذا فلماذا يتم ربطه بالمسيح. ثم يأتي النص بعد ذلك فيقول "ويدعى اسمه كلمة الله" وهو نفى أن له اسما لا يعرفه أحد إلا هو. ومن متناقضات النص" يدوس معصرة خمر"، وهذا يصطدم مع قولهم أن المسيح إله لأنه حول الماء إلى خمر كما يوحنا2/1-11.

بعد هذا بقي لي نصان؛ واحد انفرد به شنودة وثان لوليم أدي.

- النص عند شنودة هو: ما جاء في رسالة يوحنا الأولى (7/5): (وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ). هذا النص يرى فيه البابا شنودة دليلا على تجسد الكلمة، وغيره لم يستخدم النص كحجة فيما يخص التجسد، أي لم يعتبر صالحا لذلك.

وأثبت النص هنا كما جاء في بعض الترجمات وهي:

---

(1) نفسه، ص: 797.

(2) سفر الرؤيا19/11-16.

-الترجمة اليسوعية: (والَّذينَ يَشهَدونَ ثلاثة: الرُّوحُ والماءُ والدَّم وهؤُلاءِ الثَّلاثةُ مُتَّفِقون). وعلقت الترجمة بما يأتي: "هذه الشهادة المزدوجة تضاف إلى شهادة الروح. يقول يوحنا أن هناك ثلاثة شهود يشهدون ليسوع".

- الترجمة العربية المشتركة: (والذينَ يَشهَدونَ هُم ثلاثةٍ. 8الرُوحُ والماءُ والدَّمُ، وهَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ هُم في الواحدِ). وعلقت الترجمة بما يأتي: "هذه الإضافة وردت في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة".

- كتاب الحياة: (فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. 8وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ).

أقتصر هنا على هذه النماذج الثلاثة، التي يظهر من خلالها مدى تلاعب المسيحيين بكتابهم، فالترجمة اليسوعية لا يوجد فيها ما يقول به شنودة. والترجمة العربية نفسها لم يرد فيها ما يعتقده شنودة، وقد اعتبرت النص الوارد فيها إضافة.

بقي كتاب الحياة يشهد لشنودة ويدعم قوله، لكن لماذا لم يرد النص في كل الترجمات إن كان فعلا ضمن الأصل الموحى به؟ الاجابة يقدمها بنيامين ولسن مترجم المخطوطات اليونانية إذ يقول: "إن هذه الآية التي تشمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب قبل القرن الخامس عشر، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب إكليركي (إغريقي) أو أي من الآباء اللاتينيين الأولين حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها، لذلك فهي بصراحة مختلقة"[1]. وهذا ما يبرز إهمال قاموس الكتاب المقدس ووليم أدي لهذا النص ولم يدرجاه ضمن الأدلة على مواضع الكلمة.

وأختم بالنص الذي أورده وليم أدي الموجود في الرسالة إلى العبرانيين: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ). ولكي يتضح المقصود أورد النص ضمن أعداد تابعة له وهو: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. 13وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا)[2]. من يقرأ هذا النص وبدون مجهود فكري يتضح له أن وليم أدي ليس على صواب فيما ذهب إليه من ربط نص العبرانيين بالمسيح، ودليل ذلك انطلاقا من النص هو: كلمة الله جاءت مؤنثة فقوله حية، فعالة، متميزة، وليست خليقة، يدل على تأنيث الكلمة، في

(1) "خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس"، أحمد ديدات، ترجمة رمضان الصفناوي البدري، ص: 12.

(2) الرسالة إلى العبرانيين4/12-13.

حين أنه كما سبق مع الأسقف غريغوريوس يستعمل مصطلح الكلمة المتجسد وليس المتجسدة[1].

بقي نص أهمل ولم يحتج به لصالح التجسد من قبل البابا شنودة ووليم أدي وقاموس الكتاب المقدس، وهو ما جاء في رسالة ثيموثاوس: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ)[2]. ويعني النص: "تجسد الأقنوم الثاني صائرا في شبه الناس، وهي آية صريحة في إثبات لاهوت المسيح"[3]. والآن أرجع إلى النص لأثبت صيغة وروده في بعض الترجمات:

- الترجمة اليسوعية: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَّ التَّقْوى عَظيم: قد أُظهِرَ في الجَسَد).
- الترجمة العربية المشتركة: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَ التَّقوى عَظيمٌ: الذي ظهَرَ في الجَسَدِ).
- العهد الجديد ترجمة بين سطور يوناني – عربي: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَ التَّقوى عَظيمٌ: الذي أظهر في الجَسَدِ).
- ترجمة عربية سنة 1671: (يقينا سر تقوى عظيم ذلك الذي ظهر في الجسد).
- ترجمة الفاندايك: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ).

من خلال هذه الترجمات يظهر أنه في النص تحريف، فهل يأخذ الباحث بـ: "الله ظهر في الجسد"، أم "الذي ظهر في الجسد"؟ فلا شك في أن النص تعرض للتغيير، وما يؤيد هذا هو قول الشماس إميل إسحاق: "وبعض فروق القراءات قد ينتج عن أخطاء الذهن، كأن يفشل الناسخ في تفسير بعض الاختصارات التي كانت تستخدم كثيراً في المخطوطات، خصوصاً مصطلحات مثل "الله" و"المسيح" التي كانت تكتب بصورة مختصرة بصفة منتظمة، والفروق فى تيموثاوس الأولى 16/3بين "مَنْ والذي والله" هي مثال على ذلك، فقد وردت الآية "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" في قراءة أخرى "عظيم هو سر التقوى الذى (أو مَنْ) ظهر في الجسد"[4].

فالتغيير في النص حاصل لا خلاف في ذلك سواء كما شهدت الترجمات وبما شهد به أيضا الشماس إيميل.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول الحديث عن الكلمة بصيغة التذكير، ينظر كتاب: "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي: ص: 88 وما بعدها.

(2) رسالة بولس إلى ثيموثاوس الأولى16/3.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير رسائل بولس الرسول من كورنثوس الأولى حتى فليمون"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط2، 2007،ج4، ص: 466.

(4) "مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية"، إميل ماهر إسحق، ص: 20.

وقد كشف الدكتور بارت إيهرمان[1] سبب التغير من "الذي" إلى "الله" بقوله: "أحد النساخ المتأخرين أدخل تغييرا إلى القراءة الأصلية، حتى لا تعود تُقرأ "الذي" وإنما "الله" (ظهر في الجسد). أو فلنقلها بكلمات أخرى، هذا المصحّح المتأخر غيّر النص بتلك الطريقة لكي يؤكّد على ألوهية المسيح"[2].

بهذه الأدلة يكون الاحتجاج برسالة ثيموثاوس الأولى -على التجسد- القائل: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ). هو نص تم تحريفه لتأكيد تجسد المسيح، إلا أن ترجمات الكتاب المقدس وكذلك الدراسات النقدية له كشفت وفضحت تلاعب المسيحيين بنصوصهم. وإذا بطل النص بطل الاستدلال به.

وأختم موضوع التجسد بقول فرنسيس يونغ Frances Young - وهي محاضرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنغهام- بريطانيا- تقول: "المعادلة البسيطة: يسوع = الله، ليست فاشلة في تمثيل ما تدعيه التقاليد المسيحية، بل شاذة بشكل واضح. فاختصار : كلية الله إلى تجسد بشري أمر لا يمكن تصوره حقا"[3].

---

(1) تجدر الإشارة إلى أن أقوال بارت ايهرمان اعتمدتُ على ما ترجمة حراس موقع العقيدة، وقد رجعت إلى الكتاب في أصله الإنجليزي.

(2) Misquoting Jesus, the story behind Who Changed the Bible and Why ? BART D. EHRMAN, HarperSanFrancisco A Division of Hanper Collins Publishers, p:157

(3) "أسطورة تجسد الإله في المسيح"، أشرف على التحرير جون هِك، تعريب نبيل صبحي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 72.